المترجم بين التّوطين والتّغريب وهويّته الثّقافيّة

شريفي نور الهدى

طالبة دكتوراه في الترجمة معهد التّرجمة . جامعة الجزائر(2)

nourelhoudach@hotmail.com

ملخّص:

تجسّد الهُويّة الثقافيّة الشّعور بالانتماء وللمترجمّ هويّته الثّقافيّة؛ فإمّا أن يضحيّ بها وينقل النّص بالتّغريب، وإمّا أن يسلّط الضّوء على هويّته ويسهّل تقبّل الجمهور للنّص. إنّ الهدف من الدّراسة هو الإجابة عن هذه الإشكاليّة:

كيف يمكن لإستراتيجيتي التّوطين والتّغريب أن تكونا إيجابيّتين وسلبيّتين بالنّسبة للهويّة الثّقافيّة للمترجم؟

سأحاول أن أوضّح مفهوم الهويّة الثّقافيّة والتّوطين والتّغريب، وعلاقة نظريّة الغاية بقرارات المترجم وأعرض نماذج عن التّغريب مقتبسة من قصّة (**"الموتى" لجيمس جويس**) مع تبيان أثر الإستراتيجيّة على هويّة المترجم، ونموذج يتمسّك فيه المترجم بهويّته الثّقافيّة ويحرّف فيه النّص الأصليّ لتحقيق غايات تربويّة في الرّسومات المتحرّكة. أستخلص أنّ المترجم ينتقل من التّغريب إلى التّوطين والعكس حسب الغاية من التّرجمة ويمكن للاستراتيجيّتين أن تبرز أو تعزّز الهويّة الثّقافيّة للمترجم.

الكلمات المفاتيح: الهويّة الثقافية، التّغريب، نظريّة الغاية، أساليب التّرجمة.

The Translator between Domestication, Foreignization and his Cultural Identity

Abstract

The present paper clarifies the effect of foreignization and domestication on the translator's cultural identity. This study shows the situations in which each translation strategy distorts or defends the translator's identity. We analyzed examples from the "The Dead", and some cartoons and obtained the following results: foreignization maintains cultural adversity and helps the receiver develop a sense of specialness, yet it weakens identity by transferring a

different culture. Domestication may encourage racism, but helps achieve educational purposes by preserving cultural identity.

Key words: *Cultural identity, foreignization, domestication, translation strategies, skopos theory.*

مقدمة:

كثيرا ما طرحت إشكاليّة هُويّة المترجم الثّقافية من حيث وجوب التّمسّك بها أو التّخلّي عنها مقابل إعطاء صورة واضحة عن الآخر؛ ولقد دُرست وانتُقِدَت استراتيجيّتا التّوطين والتّغريب من قِبَل العديدِ من النّقاد والمختصّين في التّرجمة والتّواصل، بوصف التّوطين على أنّه أنجع الإستراتيجيّات التّي تحقّق مقروئيّة واسعة للعمل المترجم وتؤكّد نجاحه ورواجه. وإنْ تناولنا الموضوع من مبدأ أنّ المتَرجم يترجمُ للغتِهِ الأمِّ نجدُ أنّ كلاّ من دُورِ النّشر والنّقّاد والمراجعين الأمريكيّين قد أثنوا على مَحْوِ معالم وسمات الهُويّة الثّقافيّة للكاتب وإبراز هُوِيّة المترجم، أي تكْيِيف النّص مع ثقافته ليلقى القبول والرّواج في السّاحة الأدبيّة، ومن هُنَا نَشَأَ الجِدال الذّي قاده "فينوتي""Venuti" الذّي رفض هذا الاتّجاه واقترح التّغريا استراتيجية مقاومة له، يتخلّى فيها المترجم عن هويّته الثّقافيّة مبرزا هويّة الكاتب وإن تطلّب الأمر خرق عادات وتقاليد الثّقافة المستقبلةِ، وذلك لما رآه من الانغلاق والتّمركز العرقيِّ والنّرجسيّة الثّقافيّة في استراتيجيّة التّغريب.

إذن، كيف يمكن لاستراتيجيّتي التّوطين والتّغريب أن تكونا إيجابيّتين وسلبيّتين بالنِّسبة للهُويّة الثّقافيّة للمترجم؟

أحاول في هذا البحث توضيح مفهوم الهُويّة الثّقافيّة واستراتيجيّتي التّوطين والتّغريب وموقفِ نظريّةِ الغَاية منهما، كما أعرض بعض النّماذجِ عن ترجمات اعتمد فيها المترجم على التّغريب ونماذج أخرى اعتمد فيها على التّوطين مع إبراز أثر كلّ استراتيجيّة في التّرجمة وفي هُويّة المترجم الثّقافيّة.

1- الهويّة الثّقافيّة والمفاهيم التّرجميّة المتّصلة بها:

1-1- مفهوم الهويّة الثّقافيّة:

«الهُويّة أو الشّخصيّة (الوطنيّة أو القوميّة) لأيّة أمّة أو شعب من الشّعوب هي مجموعة الصّفات أو السّمات الثّقافيّةِ العَامّة التّي تُمثّل الحَدَّ الأدنى المشتركَ بين جميعِ الأفراد الذّين ينتمون أو يدّعون الانتماءَ إلى هذا الشّعب أو ذاك من شعوب المعمورة...» (بن نعمان، 2005، ص 12)

نلاحظ من خلال ما قاله الكاتبُ أنّ الهُويّةَ بالثّقافة؛ أيْ بالموروث الثّقافيِّ المشتركِ بين مختلفِ أفراد المجتمع؛ فالثّقافة هي ما يشترك فيه هؤلاء الأفراد وما يخلق التّشابه والانتماء بينهم.

تتجلّى الهويّة الثّقافيّة للأفراد والمجتمعات في مختلف جوانب الحياة **«الهويّة الثّقافيّة تمثّلُ كلَّ الجوانبِ الحياتيّة؛ الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والحضاريّة والمستقبليّة لأعضاء الجماعة الموحّدة التّي ينتمي إليها الأفراد بالحسّ والشّعور الانتمائيّ لها.» (زغّو، 2010، ص94)**

إذن فهي تتجسّد في الشّعور بالانتماء لجماعة واحدة تتشابه مظاهرُ حياتِها على مختلفِ الأصعدةِ، ويُمكنُ أن يُوضَّح المفهومُ أكثر بتوضيح الرّوابط التّي تجمع هؤلاء الأفراد بعضهم ببعض وتخلق التّشابه بينهم، ويقول الكاتب ذاته في هذا الصّدد: « **تتجلّى عناصر الهويّة الثّقافيّة في تلك المظاهر المهمّةِ التّي تمثّل جوانب الهُويَّة الثَّقافيَّة بالنّسبة للشّعوب والأفراد، وإن كانت تتمثَّلُ في الغالب في ثلاثة عناصر: العقيدة واللّغة والتّراث الثّقافي. » (زغّو، 2010، ص95)**

إذن فالحدّ الفاصل في امتلاك الهويّة الثّقافية هو شعور الفرد بالانتماء لجماعة ما والتّميّز عن جماعة أخرى بالدّين أو العقيدة واللّغة والتّراث الثّقافي؛ فالدّين هو أوّل العناصر وأكثرها أهميّة بالنّسبة للهُويّةِ الثّقافيّة لأنّ:

«قوام كلِّ هُويّةٍ ثقافيّة ذات بُنْيةٍ عُضويّة متماسكة هو العقيدة التّي تُنْشِئُ منظومةً من القيم القادرة على تفعيل الإرادات المختلفة في بناء مجتمع متماسك عضويٍّ البِنَاء، مؤمنٍ برسالةٍ أخلاقيّةٍ ومُثُلٍ عليا تحظى بالإجماع والتّقديس.» (الكتّاني،1997،ص81)

فالدّين –عموما– يحدّد نسبة كبيرة من الممارسات والمناسبات والعادات والتّقاليد وكذا السّلوكيّات والمعايير الاجتماعيّة وحتّى الإيديولوجيّات. أمّا اللُّغة فهيَ ما يُمكّنُ من التَّعْبِيرِ عن هذهِ الهُويّة ويحقّقُ إمكانيَّةَ إثْباتِ الذّاتِ والتَّعريفِ بها للآخر. والمترجمُ بدوره لديه انتماؤه وهويّته الثّقافيّة التّي يسعى لتجسيدها في ترجماته أو أنّها تنْعكِسُ على ترجماتِهِ من دون قصد حينا ويتجنّبها ويترجم بكلّ أمانةٍ وحياديّةٍ حينًا آخر؛ وهذا ما يعرف في التّرجمة بالتّوطين والتّغريب.

1-2- استراتيجيّة التّوطين وهويّة المترجم:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الغرابة التّي يستشعرها القارئ أو يجدها في النّص المُتَرجَمِ تَنْتُجُ عنِ الاختلافِ في ثقافتي القارئ والكاتب؛ فمن شأْن تباينِ الخلفيّات الثّقافيّةِ أنْ يجعل المرء يستغربُ ما يراه الآخرُ عاديّا أو حتّى ضروريّا، فاختلاف الثّقافة يعني اختلاف وجهات النّظر وتقييمَ الأشياء والحكم عليها بما فيها التّرجمات، واستراتيجيّة التّرجمة التّي تعنى بالتّقليل من هذا الاختلاف هي التّوطين:

«A term used by Venuti (1995) to describe the translation strategy in which a transparent fluent style is adopted in order to minimize the strangeness of a foreign text to the TL readers.» (Shuttleworth & Cowe, 1997,p.44)

« مصطلح استعمله "فينوتي" للإشارة إلى استراتيجيّة التّرجمة التّي تتجسّد في تبنّي أسلوب شفّاف انسيابيّ للتّقليل من غرابة النّصّ الأجنبيّ بالنّسبة للقرّاء المستهدفين.» (ترجمتنا)

ولهذا فإنّ التّوطين يتضمّن تبنّي الاستراتيجيّة الأنسب لترجمة النّصّ اعتمادا على أسلوب فيه من الانسيابيّة والشّفافيّة ما يجعل النّصَّ المُتَرجَمَ يبدو كنصٍّ أصليٍّ كُتِبَ أساسًا لقرّاء اللّغة المنقولِ إليها؛ حيث تتلاشى هُويّة الكاتب وتبرز هُويّة المترجم وهو يترجم للغته الأمّ محترمًا معايير مجتمعه وثقافتهِ، الشّيء الذّي من شأنه أن يُسهّل تقبّل القارئ للنّصّ وإقباله عليه:

«…because of its economic value: enforced by editors, publishers and reviewers, fluency results in translations that are eminently readable and therefore consumable on the book market» (Venuti, 1995,p. 16)

« وبفضل قيمتها الاقتصاديّة أي: كونها عُزّزت من قبل المحرّرين والنّاشرين والمراجعين، نتجت عن الانسيابيّة ترجمات ذات مقروؤيّة واسعة ومستهلكة في سوق الكتاب.» (ترجمتنا)

هذا عن الجانب الإيجابيّ لاستراتيجيّة التّوطين، أمّا عن سلبيّاته فهو كما يرى "فينوتي" "**Venuti**" أنّها تمثّل بل وتشجّع مبدأ التّمركز العرقيّ الأنجلوسكسونيّ الذّي يسعى لنشر ثقافته وينغلق على ثقافة الآخر ويرفضها بترجمة أعماله اعتمادا على التّوطين الذّي يُجرّدُ النّصّ الأصليَّ من خصوصيّتهِ الثّقافيّةِ والقوميّة ويستبدلها بثقافته وكأنّها أرقى الثّقافات وأجدرها بالتّعريف والتّرويج.

1-3- استراتيجيّة التّغريب وهويّة المترجم:

لقد اقترح "فينوتي" **Venuti** اعتماد استراتيجية التّغريب بديلا للتّوطين إذ يقول فيها :

« Foreignizing translation in English can be a form of resistance against ethnocentrism and racism, cultural narcissism and imperialism» (Venuti, 1995, p. 20)

« يمكن للتّغريب في الإنجليزيّة أن يكون شكلا من أشكال المقاومة ضدّ التّمركز العرقيّ والتّعصّب والنّرجسيّة الثّقافيّة والإمبرياليّة.» (ترجمتنا)

فالتّوطين يدلّ على رفض الآخر، وحرمان القارئ من التّعرّف عليه وإعطائه صورة مختلفة وخاطئة عنه بتشويه محتوى النّصّ وتحويره وجعله يتماشى والقيم السّائدة في ثقافة اللّغة المنقول إليها وخاصّة "الإنجليزيّة". وهذا ما من شأنه تقليص التّنوُّع الثّقافيّ والتّكريس للثّقافة الأنجلو أمريكيّة على حساب الثّقافات الأخرى، لأنّ التّغريب يكفل بروز الكاتب وهويّته وينقل النّصّ بكلّ ما يحمله من غرابة. وهنا تختفي هويّة المترجم الثّقافيّة وتبرز هويّة الكاتب بحيث يتعرّف عليها القارئ ويطّلع على التّنوّع الثّقافيّ والحضاريّ الحاصل وينفتح عليه.

« Foreignizing translation signifies the difference of the foreign text, yet only by disrupting the cultural codes that prevail in the target language» (Venuti, 1995)

« يبيّن التّغريب اختلاف النّصِ الأجنبيّ، ولكن لا يمكنُ لهذا القَصْدِ أن يُبلَغ لولا الإخلال بالرُّموز الثّقافيّة السّائدة في اللّغة المنقول إليها.» (ترجمتنا)

ومن هنا يتجلّى دور التّغريب في تقديم النّص للقارئ بغضّ النّظر عن الاعتقادات والقيم والمعايير الاجتماعيّة السّائدة في ثقافة اللّغة المنقول إليها، حتّى يتسنّى للمُستقبِل إدراك حقيقة المُرسِل أي الكاتب والتّعرف على ثقافته رغم اختلافها أو غرابتها، وهذا بإبراز الاختلاف اللّسانيّ والثّقافيّ.

«ما السّمات التّي يشدّد فينوتي Venuti على اقتراحها ليقوم المترجم المُمَارِس بإعادة إنتاجها؟ إنّها- على جهة التّدقيق والضّبط- تلك السِّمات التّي تُكَوِّنُ علامة دالّة على الاختلاف اللّسانيّ والثّقافيّ. » (غنتسلر، ترجمة مصلوح، 2007، ص120)

الشّيء الذّي يجعل النّصّ لا يتّسم بالوحدة والاتّساق والانسجام والسّلاسة والشّفافيّة بل يتمكّن قُرَّاؤُه من الإحساس بأنّ النّصّ مترجم، كما يشعر فيه القارئ بروح الغرابة والاختلاف على المستويين: الثّقافيّ واللّسانيّ.

1-4- نظريّة الغاية وهويّة المترجم

وبينما يتجادل المنظّرون حول التّرجمة الحّرة والتّرجمة الأمينة والتّوطين والتّغريب، على المترجم أن يتّخذ قراره ويعرف إن كان يجدر به التّمسّك بهُويّته وهو يترجم للغتهِ الأمّ وبالتّالي يعتمد على التّوطين أو أن يتخلّى عن هويّته الثّقافيّة ويغرّب النّصّ. وهذا أمر يتوقّف حسب نظريّة الغاية Skopos Theory على الهدف من التَّرجمة؛ ففي بعض الحالات يَحْسُنُ تبنّي التّوطين وفي أحيان أخرى يستحسن استعمال التّغريب، الشّيء الّذي يمكن أن يتوافق أو يتعارض مع هدف الكاتب من تأليفه للنّصّ الأصليّ والموضوع المعالج فيه. وهنا يتجلّى دور نظريّة الغاية في التّخفيف من حدّة الجدال آنف الذّكر، فحسب "كريستيان نورد" Christiane Nord الهدف أو الغاية من التّرجمة هو ما يحدّد الاستراتيجيّة المتّبعة:

« The prime principle determining any translation process is the purpose of the overall translational act . » (Nord, 1997, p.27)

«إنّ المبدأ الأساسيّ الذّي تتحدَّدُ على أساسه أيّة عمليّة ترجمة هو الغاية من الفعل التّرجميّ. » (ترجمتنا)

إذنْ، فالهويّة الثّقافيّة وموقف المترجم منها ليس أهمّ ما في الفعل التّرجميّ أو ما يحكمه أو ما يحدّد خيارات المترجم بل تحديد الغاية من التّرجمة وتبنّي الاستراتيجيّات المناسبة لتحقيق الغاية وإن كان الأمر على حساب هويّة المترجم. وهنا يجدر التّنويه بأنّ نظريّة الغاية ليست كما يعتقد الكثيرون: أنّ هذه النظريّة تفضّل التّوطين وتشيد به؛ ولقد قال "فيرمير" **Vermeer** في هذا الصّدد:

«The skopos theory thus in no way claims that a translated text should *ipso facto* conform to the target culture behavior or expectations that a translation must always adapt to the target culture. This is just one possibility: the theory equally well accommodates the opposite type of translation, deliberately marked, with the intention of expressing source

culture features by target culture means. Everything between these two extremes is likewise possible. »
(Vermeer, 2000, p. 231)

« لا تَتَطلَّبُ نظريَّةُ الغاية أبدا أنْ يَتَلاَءم النَّصُّ المُتَرْجَمُ مع الثَّقافة المستهدفَة من حيث السُّلوكُ والتّوقعاتُ بحيث يجب أن تتكيّف التّرجمة دائما مع هذه الثّقافة. هذه ليست سوى إحدى الإمكانيّات: تتّسع النّظريّة لهذا النّوع من التّرجمة ولنقيضه بنفس القدر مع تميّز هذا الأخير بقَصْد التَّعبير عن خصائص ثقافة النّصّ المصدر بما تتيحه ثقافة اللّغة المنقول إليها، وكلّ ما ينحصر بين هذين النّقيضين ممكن كذلك.» (ترجمتنا)

نتبيّن من خلال هذا الاقتباس أنّ المترجم حرّ في أنْ يعتمد على استراتيجيّة التّوطين ويطمس هويّة الكاتب ويبرز هويّته الثّقافيّة أو أن يتنازل عن هويّته ويركّز على إبراز الاختلاف الثّقافيّ واللّغويّ للنّصّ المصدر؛ إذن، فإنّ هذه النّظريّة تخلّص المترجم من قيود الأمانة وتوفّر له الاستقلاليّة والحرّيّة فيما يخصّ اختيار استراتيجيّات التّرجمة شريطة توافقها والغاية الّتي تحدّد من قبل المبادر أو المترجم أو المرسل أو المرسل إليه:

« Initiators may have communicative purposes of their own or they may share those of either the sender or the receiver. » (Nord, 2006, p. 134)

« يمكن أن يكون للمبادرين أهداف اتّصاليّة خاصّة بهم، كما يمكن أن يشاركوا المُرسِل أو المُرسَل إليه الأهداف ذاتها.» (ترجمتنا)

كما يمكن في كثير من الحالات أن يتحرّى المترجم غاية الأديب من تأليفه للرّواية أو القصّة ومن ثمّ العمل على بلوغها بواسطة التّرجمة:

« إذا كان اشتقاق النّصّ المُسْتَهْدَف من النّصّ المصدر متّسقا مع الغاية الأصليّة فإنّ ذلك يسمّى اشتقاقا أمينا، ويحظى بالقَبول بوصفه ترجمة جيّدة. » (غنستلر، ترجمة مصلوح، 2007، ص178)

إذن يمكن للمترجم العمل على بلوغ نفس غايات الكاتب، ويمكن أن تنتج عن اتّباع هذا الأسلوب ترجمة يحكم عليها بالأمانة والجودة.

2- دراسة تحليليّة نقديّة لترجمة نماذج من المدوّنة

2- 1 دراسة تحليليّة نقديّة لترجمة نماذج من رواية الموتى

2-1-1-نبذة عن رواية الموتى والمترجم: وأستعرض دراسة لترجمة بعض النّماذج من رواية "The Dead "**الموتى**" التّي تُرْجِمَتْ على يد المُتَرْجِمِ السّوريِّ "أسامة منزلجي"، وتدور أحداث الرّواية في منزل عمّتيّ "غابرييل" حيث أقيمت حفلة عيد "الظّهور" المسيحيّ ليتعرّض "غابرييل":- الشّخصيّة الرّئيسيّة للرّواية- للكثير من المواقف الحرجة، وأكثرها إحراجا كانت اتّهامه بالتّبعيّة لبريطانيا، كما تستعرض الرّواية مختلف مراسيم الاحتفال من إلقاء الخطابات والغناء والرّقص والقصائد والمأكولات والشّيم والتّقاليد الأيرلنديّة، وتُخْتَمُ بالخيبة العاطفيّة الّتي عاشها غابرييل ومكّنته من اكتشاف ذاته. ولقد اعترف الكاتب بدوره أنّ الهدف من كتابة المجموعة القصصيّة "أهالي دبلن" الّتي أدرج فيها رواية الموتى هو التّعريف بالمدينة وسكّانها وهويّتهم الأيرلنديّة."

« You must write what is in your blood and not what is in your brain. »

(Jeffares, 2000, p. XV)

«عليك أن تكتب ما في دمك لا ما في عقلك. » (ترجمتنا)

وهذا يدلّ على قوّة شعوره بالانتماء لوطنه وتصميمه على إبراز هُويّته في كتاباته، ولقد أوضح البروفيسور "جيفريس" أنّ المجموعة القصصيّة حقّا تعالج الهويّة الأيرلنديّة فقال:

« The Irishness of Dubliners can be studied on at least five levels:

religious, cultural, political, geographical, and autobiographical.» (Jeffares, 2000, p. XV)

«يمكن دراسة الهويّة الأيرلنديّة على أربعة مستويّات على الأقل: الدّينيّ والثّقافيّ والسّياسيّ والجغرافيّ ومن خلال ما تعلّق بسيرة الذّاتيّة للكاتب.» (ترجمتنا)

وفي هذه المقولة دلالة على أنّ الكاتب أبرز هُويّة بلده من النّاحية الدّينيّة والثّقافيّة والسّياسيَّة...

وفعلا لقد اختار المترجم "أسامة منزلجي" في الكثير من الحالات الوفاء لغاية الكاتب والتّضحية بهويّته الثّقافيّة بصفته مترجما. وهذا ما أدلى به لصحيفة "العرب" الكائن مقرّها في "لندن"، فهو يرى أنّ التّرجمة هي:

« التزام بنصٍّ وبحسٍّ أدبيٍّ وبصورةٍ أدبِيّةٍ وبنبرة صوتٍ أدبيّة خاصّة بكلّ كاتب، والالتزامُ والإخلاص لهذا النّصّ من لزوميّات التَّرجمة المسؤولة. ويضيفُ قائلا: "**التّرجمة عمل شاق يتطلّبُ نُكْرَانَ الذَّات.**"

(https://alarab.co.uk)

وهذا ما يدلّ على أنّ المترجم لا يبالي إن اختفت هويّته في التّرجمة ولم يبد لها أثر؛ فأهمّ ما في التّرجمة هو الالتزام بخصائص النّصّ المصدر، ويعترف أنّ هذا الالتزام أيْ محاولةُ جعلِ التَّرجمة تعكس الكاتب وأسلوبه وهويّته على حساب هويّة المترجم يتطلّبُ الكثير من الجهد ويتّسم بالصّعوبة. فـ"نُكْرانُ الذّات" يتطلّب من المترجم أنْ يسعى جاهدًا للتّخلّص من خلفيّته الثّقافيّة لإبراز الآخر والتّعريف به. وهذا ما يدلُّ على أنّه يُفضِّل استراتيجيّة التّغريب على التّوطين. ويتابع قائلا « **لغة التّرجمة لغة صعبة جدًّا، لأنّ المُترجم يكونُ محشورا في حيّزٍ ضيّقٍ بين اللّغة الأصليّة للعملِ الأدبيِّ واللّغة المنقول إليها. وعليه أن يوجد لغة تنصف اللُّغتين، وتُنصف أكثر عملَ وروحَ الكاتب الأصليِّ، وهكذا مع كلّ كتاب يبدأ المترجم بالعمل عليه يدخل في هذا الصّراع من عمليّة التّوازن.»**

(https://alarab.co.uk)

إنّ توجّه "منزلجي" وميوله للتّغريب والتزامه الحياديّة والابتعاد قدر المستطاع عن المؤثّرات النّفسيّة والثّقافيّة يبرز عدم اهتمامه بأن تطغى مسحة هُويّته الثّقافيّة على ترجماته بقدر استعمال التّرجمة كجسر للتّواصل بين الثّقافات المختلفة وإبرازها والتّعريف بينها. ويجدر الذّكر أنّ هذا المترجم–حسب تصريحه– يتمتّع باستقلاليّة تامّة وحرّيّة مطلقة في اختيار النّصوص المترجمة وفي ترجمتها بالاستراتيجيّة التّي يراها الأنسب:

«نسأل المترجم هنا عن تدخّل دار النّشر في المضمون المُتَرْجَم خاصّة في الأعمال الّتي تكون ذات قضايا إشكاليّة كالدّين مثلا، ليجيبنا قائلا: "أنا أتعامل مع دار المدى منذ سنوات طويلة... وهم لا يفرضون عليّ أيّ كاتب أو كتاب ...إنَّ الثّقة بيننا دفعتهم إلى الاعتماد عليّ في انتقاء الكتّاب والكتب ... ولم يحاولوا أبدًا أن يحذفوا أيّ شيء بوصفه 'غير مقبول'، بل على العكس، أعتقد أنّ المسؤولين عن الدّار يشجّعون الأفكار الجريئة ولا يمتنعون عن نشر ما يخشى منه الآخرون.» (https://alarab.co.uk)

2–1–2–أثر ترجمة الرّواية باستراتيجيّة التّغريب في هويّة المترجم:

وتبدو آراء وتوجّهات "أسامة منزلجي" جليّا في ترجمته الرّواية المذكورة سابقا.

«-The men that is now is only all palaver and what they can get out of you. Gabriel coloured, as if he felt he had made a mistake...Then he took a coin rapidly from his pocket… it's Christmas-time, isn't it? --O no, sir! Cried the girl, following him. Really, sir, I wouldn't take it . . . Christmas-time! Christmas-time! said Gabriel, »(Joyce, 2000, p.124)

«"شبّان هذه الأيّام لا يعرفون غير الثّرثرة والنّصب."

تلوّن غابرييل، وكأنّه ارتكب خطأ...ثمّ تناول مسرعا قطعة نقديّة من جيبه.

قال، مقحما إيّاها في يديها: آه، يا ليلي لقد حان وقت عيد الميلاد، أليس كذلك؟

هتفت الفتاة، وهي تتبعه: "أوه، لا يا سيّدي!حقّا، يا سيّدي، لن آخذها"...

"إنّه عيد الميلاد! عيد الميلاد!"» (جويس، ترجمة منزلجي، 2000، ص201)

لم يبذل المترجم أيّ جهد لتبديل عيد الميلاد "المسيحيّ" بمناسبة دينيّة إسلاميّة، بل لم يجد في ذكرها لعدّة مرّات كما وردت في المتن أيّ ضرر، وترديدها لثلاث مرّات يؤكّد أنّ أحداث الرّواية تدور في وسط مسيحيّ. وفي مثال آخر يصف إحدى الرّقصات الّتي تُؤَدَّى في عيد الظّهور حيث تحرّى "منزلجي" ذكر الوصف الدّقيق الّذي أورده الكاتب:

« He waited outside the drawing-room door until the waltz should finish, listening to the skirts that swept against it and to the shuffling of feet» (Joyce, 2000, p.124)

« انتظر خارج قاعة الاستقبال ريثما تنتهي رقصة الفالس، وأصاخ السّمع لحفيف أذيال الأثواب وهي تنسحب على الأرض، وإلى انتقال الأقدام» (جويس، ترجمة منزلجي، 2000، ص201)

ولقد تُرْجِم اسم الرّقصة باستراتيجيّة الاقتراض ولم يحذف أيّا من الصّفات الواردة في المتن فصوّر الأصوات التّي يصدرها الرّاقصون بنفس حرص ودقّة الكاتب. بل وأضاف "ذيول" حتّى تتّضح الصّورة أكثر وتبرز شدّة طول أثواب السّيّدات.

أمّا عن السّياسة، فلقد اتّهمت الشّخصيّة الرّئيسيّة للرّواية بنكران الهويّة والعمالة للمستعمر البريطانيّ باستعمال مصطلح ذي خصوصيّة ثقافيّة من قِبَلِ ضيفةٍ تعتزّ بهُويّتها الأيرلنديّة وتغار عليها:

«Well, I'm ashamed of you, said Miss Ivors frankly. To say you'd write for a paper like that. I didn't think you were a West Briton. » (Joyce, 2000, p.130)

« حسن، أنا خجلة منك لأنّك تكتب لصحيفة كتلك. لم أكن أظنّ أنّك بريتونيّ غربيّ 'West Briton' »

لقد استعمل المترجم استراتيجيّة التّرجمة الحرفيّة وأضاف كتابة المصطلح بالإنجليزيّة كما جاء في المتن، الشّيء الّذي يُذكّر القارئ أنّ النّصّ كتب باللّغة الإنجليزيّة وأنّ المصطلح ذو خصوصيّة ثقافيّة. ولكن وعلى الرّغم من نجاحه في إبراز الاختلاف الثّقافيّ واللّسانيّ إلاّ أنّ ترجمته لا توحي بأيّ معنى يدلّ على الاندماج في الثّقافة الإنجليزيّة، ولهذا كان من المستحسن أن يقدّم المترجم شرحا في الهامش لفكّ اللّبس عن المصطلح:

«West Briton : not a real Irishman, but an Englishman living in Ireland, or an Anglicized Irishman» (Jeffares, 2000,p.204)

«رجل أيرلنديّ غير حقيقيّ وإنّما هو إنجليزيّ يعيش في أيرلندا أو أيرلنديٌّ اكتسب صفات الإنجليزيّين وصار مثلهم.» (ترجمتنا) ومع ذلك فقد ألحق المترجم الرّواية بتهميش يشرح فيه مختلف المصطلحات ذات القيمة الثّقافيّة خاصّة تلك الدّالّة على أسماء الفنّانين ودور الثّقافة والأوبرا والمناطق والمدن وعيا منه بأهميّتها في إبراز هويّة الكاتب.

لقد فضّل المترجم السّوريّ "أسامة منزلجي" إبراز ملامح هويّة الكاتب رغم تناقضها مع هويّته الثّقافيّة؛ بحيث نقل تفاصيل عادات وتقاليد سكّان مدينة "دبلن" الأيرلنديّة الّتي دقّق الكاتب في وصفها جاعلا من ترجمته مرآة تعكس المسحة الثّقافيّة الأيرلنديّة والبعد التّاريخيّ والسّياسيّ والثّقافيّ للرّواية.

وهذا التّوجّه لا ينحصر على ترجمة النّصوص الإبداعيّة الموجّهة للبالغين فقط، بل وحتّى في ترجمة بعض الموادّ الإعلاميّة الموجّهة للأطفال؛ وأقصد هنا

الرّسوم المتحرّكة الموجّهة للأطفال النّاطقين باللّغة العربيّة والّذين يدين أغلبهم بالإسلام.

2-2- دراسة تحليليّة نقديّة لترجمة نماذج من الرّسومات المتحرّكة

2-2-1أثر ترجمة الرّسومات المتحرّكة باستراتيجيّة التّغريب في الهويّة الثّقافيّة للمترجم:

من شأن ترجمة الرّسوم المتحرّكة باستراتيجيّة التّغريب زعزعة عقيدة الطّفل وقيمه عن قصد وطبقا لإيديولوجيّات القائمين على هذه الأفلام، خاصّة وأنّ هذه السّنّ حسّاسة جدّا بالنّسبة لتكْوينِ شخصيّة الطّفل وهويّته. وبما أنّ الطّفل يتعلّم بالتّقليد حسب نظريّة التّعلّم الاجتماعيّ لـ"بندورا Bandura فمن الممكن للطّفل اتّباع وتقليد الشّخصيّات في سلوكيّاتها الّتي تتناقض وهويّته لأنّه يرى فيها قدوة له: « **وتقول هذه النّظريّة إنّ اكتساب الأشخاص أنواعا جديدة من السّلوك عن طريق التّعرّض لوسائل الإعلام يتمّ بسبب ملاحظة الفرد تصرّفات المجتمع من حوله، والتّلفاز جزء منه.» (الشّهري 2010، ص90)**

ومن المؤكّد أنّ الملاحظة تؤدّي إلى تعلّم السّلوك ومن ثمّ تطبيقه، ومن بين الأمثلة الخطيرة على عدم تمسّك المترجم بهويّته الثّقافيّة واعتماده على التّغريب في ترجمة الرّسومات المتحرّكة تلك الّتي تتعلّق بأهمّ عناصر الهويّة الثّقافيّة، أي: الدّين. ولقد قال الدّكتور ناصر الخرعان المتخصّص في الإعلام:

«فهناك مشاهد عديدة تحتوي على مخالفات عقائديّة قد تُزَعْزِع عقيدة الطّفل وتشوّه فطرته السّليمة، ففي إحدى حلقات السّيمبسونز " The Simpsons" يقول الأب: من يتساءل أنّ هناك ربّا الآن...أنا أدرك أنّ هناك ربّا، وأنّه أنا... لقد صرّح صاحب هذا الفيلم أنّه يريد نقل أفكاره عبر أعماله بطريقة تجعل النّاس يتقبّلونها.» (الشّهري 2010، ص95) ولا شكّ أنّ تكرار مشاهدة مثل هذه المشاهد وسماع مثل هذه الأقاويل يمكن أن يُخلّ بعقيدة الطّفل

المسلم إذا ما لم تحذف هذه المقاطع من النّصّ أو تُتَرْجَمْ مع الحفاظ على المعنى الّذي أتى به النّصّ الأصليّ، أي: بالاعتماد على التّغريب. ولهذا يقول الدّكتور "عليان الحولي" في هذا الشّأن وهو المتخصّص في علوم التّربية:

«...تتحوّل إلى سموم قاتلة، ووجه الخطر في هذا الأمر هو أنّ المُرسِل والرّسالة يحافظان على جوهرهما، ويتغيّر المُرْسَلُ إليه، وهو هنا الطّفل ليكون ابن حضارةٍ مغايرة الّذي يتلقّى رسالةً غريبةً من مُرْسلٍ غريب ويحاول هضمها في إطار خصوصيّة هويّته، فتصبح الرّسالة هنا مثل الدّواء الّذي صنع لداء معيّن، ويتمّ تناوله لدفع داء آخر فتصبح النّتيجة داء آخر.» (الحولي، 2004، ص16)

ومن هنا يتّضح جانب من الجوانب السّلبيّة للتّغريب حين يُحافَظ على جوهر الرّسالة أي النّصّ والمُرسل أي الكاتب حيث يبرز دينه وإيديولوجيّته ويحاول نشرهما في كلّ المجتمعات رغم اختلافها هويّةً وحضارةً، وإنّ كَوْنَ المُرْسَل إليه أي الطّفل مولعا بتقليد من يعتبرهم قدوة من شخصيّات الرّسوم المتحرّكة، فيستحسن أن يتشبّث المترجم بهويّته الثّقافيّة الّتي تجعله يتشارك والمرسل إليه في الانتماء صونا لعقائد الأجيال القادمة وحفاظا على قيمها الأخلاقيّة والدّينيّة.

«إنّ معظم الشّركات المتخصّصة في الكرتون يملكها يهود ولا سيما المشهورة منها: مثل والت ديزني» (الحولي، 2004، ص44) وهي شركات تروّج لأفكارها وعقائدها وتعمل جاهدة لترسيخها في نفوس أطفال المسلمين، وإن كان المترجم واعيا بهذا الخطر فلا بدّ أن يعتمد على التّوطين لتحقيق أسمى غايات الرّسوم المتحرّكة الّتي تتمثّل في الرّسالة التّربويّة والتّوجيهيّة.

ومن بين المسائل العقائديّة الّتي تتشوّه مفاهيمها بسبب استراتيجيّة التّغريب مفهوم القدر؛ فهذا الأخير يُصَوَّرُ على أنّه ظالم للأشخاص الطّيّبين والفقراء واليتامى، الشّيء الّذي يتجلّى في ترجمة الرّسوم المتحرّكة "ريمي":

«قام الرّاوي في النّسخة المدبلجة بدور في منتهى السّوء، ففي كلّ مرّة يقع فيها ريمي في (مصيبة) يقول المعلّق: "ومازالت الأقدار تُتَابع ريمي..."» (الحولي، 2004، ص47)

وكأنّ القَدَر قوّة خارقة تتلاعب بريمي المسكين وترميه من مأساة لأخرى من دون حكمة أو رحمة أو عدل، وهكذا تتشوّه صورة القدر عند الطّفل ويضعف إيمانه وبالتّالي يعجز عن الثّبات والصّبر أوقات الشّدّة والنّوائب اعتقادا منه أنّ القدر ظلمه. فإن كان السّاهرون على كتابة تعليقات الرّاوي وإنتاج الرّسوم قد تعمّدوا تشويه مفهوم القدر أو لم يتعمّدوا ذلك، فإنّ المترجم يتحمّل الجزء الأكبر في إرساء ثوابت هويّته الثّقافيّة وترسيخها.

2-2-2- أثر ترجمة الرّسومات المتحرّكة باستراتيجيّة التّوطين في هويّة المترجم:

ومع كثرة سلبيّات دبلجة الرّسومات المتحرّكة إلى العربيّة، ظهر تيّار معاكس يعمل على توطين نصوص الرّسوم المتحرّكة وتحويل الحوار من محادثة عاديّة قد تحتوي على الشّتائم وعبارات الازدراء أو حتّى عبارات تتناقض مع العقيدة الإسلاميّة إلى حوارات تغلب عليها مسحة الوعظ والإرشاد وكثرة استعمال الأذكار والأدعية، ومن بين القنوات الّتي دأبت على إنتاج ودبلجة مثل هذه الأفلام مؤسّسة "بسمة" التّابعة لقناة "المجد" وهي تبثّ في "شبكة الطّريق إلى اللّه" والّتي يُذكر في موقعها الرّسميّ أنّها تتكوّن من عدّة مواقع من بين أهدافها: **«عمل بيئة إيمانيّة تربويّة صالحة لجميع المراحل العمريّة.»**

(https://way2allah.com/landing_page.htm**)**

ومن بين الرّسومات المتحرّكة التّي يعرضها الموقع "همتارو" الّذي أنتجته قناة "بسمة"، ولم يشمل التّوطين أسماء العَلَم كلّها؛ فبطل الرّسوم يحمل اسم "همتارو" بينما سُمِّيَ صديقه "بلبل" وصاحبته بـ"مرح" وهي تردّد عبارة "الحمد لله" لعدّة مرّات حين يعود إليها "همتارو" بعد أن ضاع في حلقة "همتارو في مأزق". والملاحظ هو استعمال لغة مؤدّبة خالية من الشّتائم والإهانات، ولم يقع المترجم في فخّ الإكثار من النّصح والوعظ الّذي يشعر الطّفل بالملل وكأنّه يُلَقَّن دروسا بدلا من التّعلّم والتّسلية في نفس الوقت وهو الأسلوب الّذي يفضّله الطّفل.

يظل الغموض يكتنف مسألة دبلجة الرّسومات المتحرّكة إلى اللّغة العربيّة؛ وأقصد هنا وضوح سياسة أو منهجيّة تحدّد نمط اختيار النّصوص ومن ثمّ الغايات التّربويّة المتوخّاة من الدّبلجة؛ فبينما تعمل بعض المؤسّسات الإعلاميّة على توطين هذه الأفلام يظلّ دور المترجم الإيجابيّ المتمثّل في احترام هويّته الثّقافيّة والحفاظ عليها غائبا حين تطغى الثّقافة الغربيّة على أفلام الرّسوم المتحرّكة الّتي يجدر أن تكون أولى بتوطين محتواها لحماية الطّفل من استيعاب مفاهيم خاطئة وتبنّي مبادئ تتعارض وهويّته.

خاتمة

إنّ الهويّة الثّقافيّة هي ما يلبّي رغبة الفرد بالشّعور بالانتماء، وقوامها هو العقيدة، لأنّها ما تنبني على أساسه العادات والتّقاليد والأخلاق المشتركة، وتأتي بعدها اللّغة لأنّها ما يحقّق التّعبير عن هذه الهُويّة ويمكّن من تعريف الآخر بها، وإن كان في التّوطين ضرب من ضروب النّرجسيّة الثّقافيّة والتّمركز العرقيّ والتّعصّب والإمبرياليّة في بعض الدُّول، إلاّ أنّه ضروريّ في ترجمة الرّسومات المتحرّكة؛ حيث يكون المترجم بخياره في توطين النّصّ قد نقل تراث أمّته الثّقافيّ للأجيال وساهم في الحفاظ عليه وصان بذلك هويّته الثّقافيّة من الاضمحلال في ظلّ العولمة ومظاهرها. أمّا بالنّسبة للتّغريب فهو يساهم في الانفتاح على الآخر والتّعارف بين الثّقافات المختلفة، وإنّ شدّة الاختلاف الّتي يجدها كلّ من المستقبِل والمترجم – على المستوى الثّقافيّ واللّسانيّ– يُشعر الفرد بالاختلاف وبالتّميّز، ويجعله أكثر إدراكا لذاته وهويّته الثّقافيّة.

قائمة المراجع باللّغة العربيّة:

إدوين،غ.(2007). **في نظريّة التّرجمة:اتّجاهات معاصرة.** (ترجمة: مصلوح، س). بيروت: المنظّمة العربيّة للتّرجمة.

الحولي، ع. (2004). **القيم المتضمّنة في أفلام الرّسوم المتحرّكة: دراسة تحليليّة.** كليّة التّربية:غزّة.

الشّهري، ع.(2010). **نماذج القيم التّي تعزّزها أفلام الرّسوم المتحرّكة المخصّصة للأطفال من وجهة نظر التّربية الإسلاميّة.** جامعة أمّ القرى: مكّة.

الفلاّح، خ. **(2017). هل ترتقي الترجمة بالنص أم تحوله إلى رماد.** (On-line) صحيفة العرب .15.

الكتّاني، م.(1997) العولمة والهُويّة. **سلسلة الدّورات.** الرّباط: أكاديميّة المملكة المغربيّة.

بن نعمان، م. (2005). **الرّدود العلميّة على الأطروحات العرقيّة وتعدّد الهوية في الجزائر.** الجزائر: دار الأمّة.

زغّو، م. (أفريل 2010). أثر العولمة على الهُويّة الثّقافيّة للشّعوب. **الأكاديميّة للدّراسات الاجتماعية والإنسانيّة.** جامعة حسيبة بن بوعلي الشّلف، 93(103). http://www.univ-chlef.dzh/.

شبكة الطّريق إلى اللّه (2018)
https://way2allah.com/landing_page.htm

منزلجي، أ .(2000). **أهالي دبلن.** اللاّذقيّة: دار الحوار.

قائمة المراجع باللّغة الإنجليزيّة:

Joyce, J. (2002). *Dubliners*. Beirut: York Press.

Nord, C. (1997). *Translation as a purposeful activity: Functionalist approaches explained* . Manchester: Jerome.

Nord, C. (2006). Translation as a Purposeful Activity: A Prospective Approach .*TEFLIN Journal*. Volume (17)131-143.

Shuttleworth, M., & Moira, C. (1997*).* Domestication. *Dictionary of translation studies***.** New York.

Vermeer, H .(2000). *Skopos and commission in translational act. The translation studies reader*. (Translated by: A. Chestereman). London, Britain: Routledge.